فصة الحديث

هابيل
او
الاقرار بالمعاصي

— تتمـــة —

هنا فتح المريض حفونه التي اغمضها عن عمر وقال لهـا قد سمعت كل ما دار بينكما ولكما الحق ان تفكرا بمثل هذا ولكنما يجب ان تكونا على اتم ثقة من انه لا ينالكما من ورائي الا كل خير وحسنة مت ام عشت والآن ارجو ان تدعوا لي اكبر كاهن في كنيسة (افلورانس) ولا تفسحا للقلق لأن يتسرب الى قلبيكما فاخلدا الى السكون وعيشا بطمأنينة وراحة .

وفى اقل من ساعة وقف اكبر القسيسين تقوى في فلورانس على اكثر الناس شروراً فى العالم و بعد ان اسدى اليه بوعظه وارشاده حسب القاعدة المتبعة عند الاقرار سأله بكل لطف ولين :—

— متى كان آخر عهدك بالاعتراف[1] ؟

— كنت اعترف يا ابتي في كل اسبوع ثلاث مرات واكثر لدى كاهن ولم انقطع عن الاعتراف ابداً اللهم الا فى هـذه الايام التي اعاقني فيها المرض .

(١) الاعتراف بالذنوب والاقرار بالمعاصى امر لا بد منـه للمسيحيين حيث يتحتم عليهم الاعتراف في كل شهر او في كل سنة مرة والتقي الدين منهم من يعترف في كل اسبوع مرة .

القس — إذن لم يبق عليك ذنب لم يغتفر .

المريض — كلا يا ابتي ان ذنوبي ابلغ واعظم من ان تحصى وانا اتذكرها جميعها ولربما اعترفت بها كل يوم لئلا انساها وما رجائي منك الا وان تعتبرني كمن لا يعترف طول حياته فتسألني عن كل صغيرة وكبيرة لعلي انال غفران ربي ورحمته على يدك فلا تضنن علي وسلني كما تسأل اكبر المجرمين وافسق الفاسقين فما انا باقل منهم جرماً وفسقاً !

وهنا رق القس لحاله فجلس بقربه واخذ يسأله :—

القس — اخبرني يا بنى هل اتفق لك ان راودت فتاة عن نفسها او عرضت من هذا القبيل بها ؟

المريض — اخجل ان اقول لك الحق يا ابتى .

القس — الم تعلم يا بنى ان لا حياء في الدين ولا خجل فى الاعتراف وانت باقرارك هذا انما تكفر عن سيئاتك وتستغفر لذنوبك ؟

المريض — لما كنت قد سكنت روعى بموعظتك فاسمع يا ابتى لا قول لك انى ما لمست امرأة قط ولا اتصلت بفتاة خلاف الشريعة طول عمري هذا الا انني رأيت... امي وذلك اثناء ولادتى فقط وهذا كاف ليكتب ذنباً كبيراً علي .. وهنا اجهش صوته بالبكاء والنحيب .

القس — مرحى لك يا بنى : ثق انك بعملك هذا قد فقت اكبر القسيسين ورعاً وزهداً . والآن اخبرني هل كنت أكولاً ؟

المريض — كنت اقضي اغلب ايامى صائماً ولا افطر الا على كسيرة خبز وجرعة ماء غير انه قد يتفق لي زيارة الاماكن المقدسة احياناً

فاسير ماشياً على رجلي وعندما اصل جدول ماء كنت اتناول مقداراً كبيرا منه لقتل عطشي ولربما صادفت فى طريقى اوراقاً من الخس قد تحادثني نفسي على اكلها ولكن كنت احول بينها و بين ما تريد بقوة ارادتي .

القس — لا تحزن يا بنى ولا تخف ففي مثل ماذ كرت لايعتبر الرجل أكولاً ولا دنيئاً اذ لابد لمن كان مثلك ان يستعذب الماء ويستلذ بشرابه فلا بأس عليك يابني .

المريض — انا اعرف جيداً انك انما تريد تسليتي بحديثك هذا والا كيف تعد هذه المعاصي رحمة وهذه الذنوب براءة فوا أسفي ويا ويلتي من العـــذاب .

فعلم القس انه يكلم رجلا من اعز الناس على اليسوع وملكا شاء القضاء ان يخلق على صورة انسان وشكر الله على توفيقه لحضور اعتراف امثال هؤلاء القديسين واردف سائلا :—

— هل خطر في بالك مرة ان تطمع فى مال احد او تفكر فى اغتصابه ؟

المريض — انت وان كنت تراني فى بيت هذين الصيرفيين فانا ما جئت الى هنا الا لارشدهما الى الحق واحملهما على اجتناب الربا ولكن القدر قد سبقنى فاردانى حيث ترانى الآن ولو امهلن قليلاً لاتممت مشروعى : ولقد ورثت عن ابى ثروة طائلة انفقتها كلها على الايتام والضعفاء وسائر المشاريع الخيرية ولم ابق لنفسى غير مقدار يسير لا يكفى لسد رمقى .

القس — لله درك يابني : جزاك الله عن الناس خيراً : اخبرنى هل اتفق لك ان غضبت ؟

المريض — لا تسلني يا بني عن هذا افطالما كانت تعرض لي هذه الاحوال وذلك عندما ارى بعض الشبان يتركون الكنائس فى ايام الآحاد ويؤمون دور القمار والحانات فكم كنت اغضب وكم احتدم غيظاً خصوصاً عندما اسمع باسماء رؤساء المذاهب والقديسين تمر على السنة العوام بدون مراعاتها واحترامها .

القس — بارك الله فيك ياولدي ليست هذه معاصى كما تظنها وانما مسائل لاتتجاوز الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى لعمري عين الطاعة والعبادة . والآن قل لى هل تتذكر انك اسأت الى احد مدة حيـــاتك ؟

المريض — اتعجب كثيراً يا ابتى ان اسمع منكم سؤالا من هـذا القبيل مع علمكم بانى لو أسأت الى احد فيما مر لما مد الله فى عمري وجعلني ان اعمر هذا العمر واقطع هذه المرحلة من الحياة .

القس — طوبى لك يابني وهنيئاً على اعتمادك : اخبرني هل حدثتك نفسك مرة على ان تشهد على احد بهتاناً وزوراً ؟

المريض — نعم ولكنها مرة واحدة وتلك بهذه الصورة : كانت لنا جارة مقدسة عفيفة يمتلكها بعل شرير فاسق كثيراً ما يدخل البيت إلا وهو سكران فيلهو بتعذيب زوجته المسكينة واذيتها مما اضطرني الى ايصال الخبر الى اهلها وذويها بقصد الاصلاح .

القس — هل وقع لك يابني ان خدعت احداً فى المعاملات التجارية ؟

المريض — مرة واحدة اني بعت احد الناس قطعة من الماهوت ديناً و بعد مدة جاءني بقيمتها فوضعتها في حقيبتى ولما احتجت ذات يوم الى مقدار من الدراهم فتحت العلبة وما اشد عجبي عند ما رأيت ان

الدراهم تزيد غرشين على قيمة الماهوت فحفظت الدراهم نحو سنة عندي لعلي اجدصاحبها فلم اقع له على اثر ولما يئست انفقتها كلها في سبيل الله .

القس — هذا منتهى الامانة والعفة فشكراً لك وهنيئاً : ليبيض الله وجهك ولينظرك بعين رحمته .

وهنا قام القس ليستغفر لشابلت واذا به يصيح الى أين يا ابتي والمعصية التي لم تزل تحت الكتمان ابلغ واعظم فسأله القس وما هي ؟

المريض — كنت آمر خادمي احياناً بتنظيف الدار في ايام الآحاد بدون ان التفت الى انه من ايام الله التي لا يجب ان يشتغل الانسان فيها بشيء .

القس — لا يابني النظافة من لوازم الدين والصحة ولا يعد ما ذكرت معصية والآن فهل بقي لك شيء تقوله ؟

المريض — يمنعني الخجل عن ذلك .

القس — ليس ما يوجب الخجل ياولدي فما هي مهنتنا اذن نحن القسيسين اذا انت بقيت تكتم عنا امورك خجلاً وحياء .

المريض — اواه يا ابتي لما كنت طفلاً كانت تصدر مني بعض حركات على غير هدى مما تهيج غضب امي فتعنني على ذلك .

القس — لاتخف يا ولدي ولا تحزن ان الاطفال لا يؤاخذون بذنوبهم فضلا عن ان لعنة الام لم تخرج من صميم قلبها على فلذة كبدها .

المريض — آه انت لا تقصد بذلك الا تسليتي وتهدئة بالي والا كيف لاتؤثر لعنة ام حملت ولدها تسعة اشهر واحيت عليه الليالي الطوال وهنا ارتفع صوت المريض بالبكاء وراحت الدموع تنحدر من عينيه كالسيل من اعالي الجبال وملأ ارجاء الغرفة بكاء ونحيباً .

القس — لا تقنط يا بني من رحمة الله ولا تجزع فالرب كريم . أخبرني ماهو السبب في بكائك ؟ فلا تخف فمثلنا من يقدر ان يقلب العالم بكلمة واحدة :

الجنان وما فيها والكون وما يحيط به كل ذلك بايدينا فاوقفني على سرك اغفر لك وادخلك فسيح جنان الرب :

فقبض شابلت بلحية القس وهو يتضرع و ينتحب وقال ابي ! يا ابي لا اصدق انك تغفر لي لو علمت باني اخرجت الريح يوماً في الكنيسة ولكن لتثق انه صدر على غير عمد وقصد .فقهقه القس ضاحكاً وقال لا بأس يا ولدي فما قولك فينا نحن البابوات وكلنا معرضون لامثال هذه في كل وقت فلا تيأس ولا تجزع فانا ارجو لك شفاءً عاجلا وسروراً دائماً واذا اقتضت المشيئة الربانية بقبض روحك فثق باني انا الذي سأتولى بنفسي امر غسلك ودفنك في اعظم محاريب الكنيسة وما زال يسليه ويخفف مدامعه بمنديله حتى هدأ روعه وعادت سكينته اليه فودعه الكاهن وانصرف :

خرج الاخوان المختفيان وراء باب الغرفة وقد سمعا كل مادار بين شابلت والقس فتعجبا من دهائه وحيلته التي لم تفارقه حتى في آخر ساعاته واحرج مواقفه وبعد قليل من ذهاب القس اشتدت وطأة المرض على شابلت وتغيرت احواله ففاضت روحه ! بلغ هذا الحادث الكنيسة فاجتمع كل من كان هناك من القسيسين على رأس الميت وحملوا الجنازة باحترام ووقار الى الكنيسة وهنا تسنم القس الكبير المنبر وأخذ يسرد على الناس والجماهير فضائل الميت وورعه وتقواه وقرأ عليهم صورة الاعتراف وما رآه من امانته وحسن نيته وصفاء سريرته ثم التفت الى الناس وخاطبهم .

ايها الجماهير المزدحمة والجمع المحتشد ألا من اراد منكم ان ينال رضى الخالق